العرب
الإثنين 2020/04/06
السنة 42 العدد 11669

امرأة يلاحقها شقيقان في الخفاء

«الرجل الخفي» شخصيات معطوبة نفسيا في دائرة الانتقام

تغيير المصائر ومسار الأحداث والسيطرة على أفعال الآخرين ثيمات اشتغلت عليها سينما الخيال العلمي بما يضمن تفوّق طرف على طرف آخر. ويندرج ذلك أيضا في إطار ما نطلق عليه القدرات الخارقة لشخصيات دون أخرى، بما في ذلك تجاوز حدود الزمان والمكان والتمكّن من قهر الخصوم أيا كانوا.

طاهر علوان
كاتب عراقي مقيم في لندن

يستند فيلم "الرجل الخفي" للمخرج الأسترالي ليغ وهانيل، والذي أصبح جاهزا للعرض في الصالات الآن، إلى قصة سينمائية فيها الكثير من التداعيات النفسية وكذلك مشاهد العنف والقتل، بالاعتماد على شخصيات ذات قدرات خارقة لأجل الوصول إلى حالة التفوّق وتأجيج الصراعات.

ومنذ المشاهد الأولى سوف نكتشف مكانا غرائبيا تم بناؤه بعناية فائقة، حيث تنهض سيسيليا (الممثلة إليزابيث موس) من نومها، كي تبدو حجرة النوم مكانا مفتوحا على البحر، ثم تتوالى الأماكن المفتوحة على الخارج والدهاليز الطويلة، بينما الفتاة تسير بحذر وهلع في محاولة للهروب.

التنوع في الدراما والتحوّلات المفاجئة عناصر جمالية منحت فيلم «الرجل الخفي» الكثير من عناصر التشويق

تهرب سيسيليا من زوجها دون أن نعلم لذلك سببا واضحا، وتلتجئ إلى منزل صديقها المقرب جيمس (الممثل ألديس هودج) الذي يعيش هو وابنته، ثم تصلها رسالة بعد حين، مفادها أن زوجها أدريان (الممثل أوليفيه جاكسون كوهين) قد مات منتحرا، لننتقل مباشرة إلى مكان لقائها بشقيقه الذي يُبلّغها بأنها سوف تحصل على دفعات مالية تصل إلى مئة ألف دولار شهريا لعدة سنوات من إرث الزوج المنتحر، بشرط أن لا ترتكب جريمة.

ومع ذلك، فالحياة الهانئة المُفترضة لسيسيليا لن تتحقّق بعد رحيل الزوج الذي كانت تكن له كرها شديدا، وهو الذي كان يستعبدها ويُعاملها بطرق مُهينة لا تخطر على بال.

تقتنع سيسيليا أن زوجها لم يمت وأن بإمكانه أن يظهر في أي وقت، حتى أنها تشعر أنه من حولها يراقبها ويراها ولن يتركها تعيش بسلام.

تتطوّر الأحداث إلى درجة أنها تُتّهم بضرب ابنة صديقها الذي أواها فيطردها من المنزل، وصولا إلى قتل شقيقتها دون إرادة منها، إذ هناك من وضع السكين في يدها وأجبرها بالقوة للوصول إلى رقبة الشقيقة، ليكون من نتائج ذلك حرمانها من المال.

ينتهي الأمر بسيسيليا إلى أن يتمّ زجها في مصحة للمجانين. لكنها سوف تصطدم بالحراس وتوقع بهم إصابات قاتلة، مع أن بعضهم شاهد يدا خفية غير مرئية تحمل السلاح وتقتل، كما أن امرأة ضعيفة لا تمتلك كل تلك القوة.

تتعقّد الدراما الفيلمية في مزيج من العنف والرعب وما هو لا مرئي. لكن سيسيليا تقود الدراما بامتياز بقناعتها التامة أن بإمكان زوجها أن يفعل كل شيء وأنه يقف وراء كل هذا البلاء.

بالطبع سوف يعيدنا هذا الفيلم إلى فيلم آخر من أفلام الخيال العلمي الشهيرة والذي حمل نفس العنوان عن قصة للكاتب المعروف أج جي ويلز وأخرجه جيمس ويل، والذي أنتج في العام 1933 ، من بطولة غلوريا ستيوارت وكلود رينس، وكأن هذا الفيلم تحية لتلك الذكرى في بواكير سينما الخيال العلمي.

الحاصل أن أدريان، عالم الاتصالات الشهير من فرط ذكائه وشخصيته السيكوباثية لن يتخلّى عن فريسته ويُجنّد شقيقه لإكمال المهمة، وبدل ارتداء طاقية الإخفاء كما في الفيلم المصري الشهير للمخرج نيازي مصطفى ومن إنتاج خمسينات القرن الماضي، فإن أدريان يكون قد طوّر بدلة إخفاء لا يمكن لقدرات البشر البصرية رؤيتها.

ووفق هذه الخطوط السردية المُتشابكة سوف تمضي مقدرات الشخصيات ومصائرها المجهولة فيما تكافح سيسيليا لمواجهة محنتها، وهنا ثمة تقاطعات تتعلّق بالخط السردي الذي تمثله العلاقة الإشكالية بينها وبين زوجها من جهة وبين الزوج وشقيقه من جهة أخرى، ثم ليدخل الثلاثة في تلك الدائرة السردية المغلقة كل منهم يبحث لنفسه عن حل ما.

هذا التشعّب في الدراما الفيلمية والسرد الفيلمي أضاف له الإيقاع السريع والتحوّلات المفاجئة عناصر جمالية إضافية، مما منح الفيلم الكثير من عناصر التشويق والإتقان في بناء الأحداث.

في المقابل، بدا ذلك المكان العجيب الذي يعيش فيه أدريان غرائبيا بالكامل وهو يُكمل غرائبية الشخصية نفسها، وهذا التكامل نادرا ما نجد المخرجين يولون له اهتماما مع أن دراسات علم النفس الاجتماعي تربط المكان بالشخصية بشكل مباشر، بل إن المكان يكشف الكثير عن طباع الشخصية وسلوكها ودوافعها.

امرأة وحيدة في مواجهة مصير مجهول

الانتقالات المكانية في تلك الدوامة المكانية كانت كافية لأن تكون ميدان مواجهة أخيرة بين سيسيليا وأدريان وهو ما سوف يقع بالفعل، إذ تعمد سيسيليا بذكاء إلى صب الطلاء مرة وغبار مطفأة الحريق مرة ثانية، وكلتا الحالتين كانتا كافيتين للكشف عن الجزء المخفي من أدريان ومن ثم إطلاق الرصاص عليه، ليظهر أنه قد زجّ بشقيقه في تلك المهمة وأنه متآمر معه على سيسيليا.

على صعيد آخر، تتّسع دائرة الدراما بالنسبة لأدريان فيقرّر الإجهاز ليس على سيسيليا لوحدها بل على صديقها الضابط جيمس، ولهذا كان لا بد من أن تقع المواجهة في منزل هذا الأخير، وهو ما سيكون كفيلا بإنهاء تلك الدائرة الإشكالية من القتل والانتقام بانكشاف أدريان -أنه لم يكن ميتا قط- ومقتل شقيقه.

المسرات المؤجلة

فاروق يوسف
كاتب عراقي

أضع يدا على يد وأنا أنظر إلى ما صارت تقدّمه المتاحف العالمية من جولات افتراضية بين مقتنياتها من الأعمال الفنية. لقد توقّف البشر عن السفر. ليست هناك طائرات في السماء. غير أن المسافات ليست بعيدة. الحياة الحقيقية غائبة، غير أنها تملك المقوّمات التي تشير إلى أنها لا تزال قائمة في مكان ما.

لم يتخلّ عنا الأسلاف الذين صنعوا معنى لوجودنا. المتاحف مغلقة. أحن إلى السلم الذي يقودني في ناشيونال غاليري إلى القاعة التي تضم لوحات الفرنسي بول سيزان. كنت كل أسبوع أذهب لكي أتعرّف على أب الحداثة الفنية من جديد. تفاحته تسكن خيالي.

شيء من خلاصة حياتي يقيم في تلك التفاحة التي تبدو كما لو أنها ناقصة. لقد أرادها سيزان كذلك ليشير إلى العدم. هناك تفاح في الحقول وفي الأسواق، غير أن النظر إلى كل ذلك التفاح لا يمكن أن يغني عن النظر إلى تفاحة سيزان.

ذلك لأنها تعيدنا إلى فكرة الامتزاج بما لا يُرى من هيئة الشكل، وهي مُعادلة تعنى بالرسم باعتباره محاولة لتفسير علاقتنا بالأشياء من خلال التعلّق بأثر تلك الأشياء الجمالي. ذلك الأثر الذي هو أشبه بالفاصلة التي تقع بين الشهيق والزفير.

نحن كائنات هي عبارة عن صنائع تبحث عن معناها في مُطاردة الجمال الهارب. لذلك كان سيزان ضروريا لحياتي وكانت تفاحته بمثابة العنصر الذي يضع الصفر في مكانه وفق الوصفة التقليدية للرياضيات.

لا أقدم خطوة ولن أؤخر خطوة. كان سيزان قد عثر على الحل. هي ذي تفاحة ناقصة. لا تصلح للأكل ولا يمكن عرضها على مائدة باعتبارها أداة للزينة ولا يمكن إرجاعها إلى الشجرة.

تفاحة فالتة لا تقع في سلة ولا تستقر على منضدة ولا تُحمل في السفر. تفاحة تصلح مادة للرسم فقط. غير أن خيالها لا يتأخر حين تبدو الحياة ناقصة.

فما من شيء مثل الرسم يُثري حياتنا بالصور التي تحثنا على التفكير في أن نمدّ أيدينا إلى الخفاء لالتقاط كنوز جمالية خفية. المتاحف مغلقة والمسرات مؤجلة.

برج إيفل في عمل مسرحي

هو أكثر من رمز، هو روح باريس وفرنسا كلّها. امتلك إشعاعا عالميا منذ إنشائه، حتى أن ملايين البشر في العالم يستحضرونه في أحلامهم حين ينوون السفر إلى عاصمة الأنوار. إنه برج إيفل الذي ما كان ليُقام لولا حرص فئة تناساها التاريخ. ذلك ما تقترحه مسرحية "أعلى من السماء".

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

بعد قرار الحكومة الفرنسية فرض حَجْر صحّي شامل، وغلق المسارح والمتاحف والأروقة وسائر المؤسّسات الثقافية نتيجة تفشي فايروس كورونا بالبلاد، اهتدى الساهرون على إدارة مسرح فونامبول مونمارتر بباريس إلى طريقة ذكية لمواصلة العروض المسرحية عن بعد بالاعتماد على وسائل الاتصال الحديثة، حيث تقترح على هواة الفن الرابع، عبر قناتها على يوتيوب، مسرحيات حديثة أو قديمة، بالتعاون مع الفرق المسرحية الفرنسية والعالمية، تتغيّر كل يومين لتترك المجال لعروض أخرى.

ومن بين ما اقترحته مسرحية "أعلى من السماء" التي عرضت مؤخرا على خشبة مسرح فونتين. هذه المسرحية تتناول الظروف التي حفّت بإنشاء برج باريس الشهير الذي يحمل اسم المهندس غوستاف إيفل (1832–1923). وفيها يروي المخرج جان لوران سيلفي بأسلوب يمزج الوقائع التاريخية بالدعابة والروح الفكهة، كيف انطلق هذا المشروع الذي كان في بدايته حلما مجنونا، لم يبتدعه إيفل، بل مهندسان آخران يعملان لحساب شركته، هما موريس كوشلين (1856–1946) وإميل نوغيي (1840–1897) وكانا عرضا معا مشروعا غريبا على كلير ابنة إيفل، التي عرضته بدورها على أبيها، فرفضه جملة وتفصيلا، لأنه مشروع مجنون، فضلا عن كونه عديم الجدوى في نظره، أضف إلى ذلك أن إيفل كان غارقا في إدارة شركته وتنفيذ التزاماتها.

غير أن ابنته، التي كانت تبحث عن شرارة تُعيد لأبيها طاقته الإبداعية وهو الذي أنجز قبلها عدة جسور ومحطات أرتال في فرنسا وخارجها، استطاعت أن تُقنعه بأن البرج سيكون أعلى بناية في العالم (سيظل كذلك طيلة ثلاثين سنة حتى إنشاء مبنى إمباير ستيت في نيويورك)، وتدفعه إلى تبنّي الفكرة، لتنطلق ملحمة تشييد "سيدة الحديد الأولى" (البرج في الفرنسية مؤنث) بداية من العام 1887.

والمسرحية تُواكب تشييد هذا المعلم منذ انطلاق المشروع حتى إنجازه وتدشينه، ولكن بطريقة ذكية بعيدة عن الجانب التوثيقي، حتى أن المتفرّج يظل متشوّقا لمعرفة النهاية والحال أن البرج قائم منذ 1887. فهي هنا مثل شريط "تيتانيك" الذي شدّ الأنظار رغم أن غرق الباخرة بمن فيها يعلمه القاصي والداني.

ذلك أن سيلفي يتوقّف عند بعض المحطات الفارقة، ليشحن المسرحية بنوع من التوتّر، كانشغال الجميع بالمكان الذي سوف تُقام فيه هذه الزرافة العملاقة المثقوبة من كل جانب، وحشد المموّلين لتوفير أطنان من الحديد المسبوك، أو اللحظة التي جاء فيها مُتصرّف المكتب المالي يُعلم الجميع بوشك الإفلاس، والأشغال لا تزال في بدايتها، لاسيما بعد أن هدّد العمال الإيطاليون بالإضراب عن العمل إذا لم تمنحهم الشركة يوم راحة أسبوعية، وارتياب البنوك التي بدأت تسحب اعتماداتها.

إضافة إلى ما صدر عن النخبة المثقفة من انتقادات حيث شبّهوا البرج بأنف سيرانو دو برجوراك ينحط على المدينة، أو بعمود كهرباء تراجيدي حسب عبارة الروائي ليون بلوا، أو بهيكل تخشيبة حراسة في العصر الوسيط بعبارة الشاعر فيرلان..

كما أن أحد مُساعدي كتّاب الدولة، الذي يتولّى الإشراف على المشاريع الكبرى، بدأ يرتاب من ضخامة هذا المشروع المعماري الذي لا جدوى من ورائه، وكان يهمّ بإلغاء الترخيص لولا زوجته التي كان لها رأي آخر. حتى غوستاف إيفل نفسه داخله شكّ في هذا المشروع المجنون، ولولا إصرار ابنته كلير لعدل عنه نهائيا. وحتى نهاية المسرحية، يُمنع المتفرّج من التأكّد من إنجاز البرج، والحال أنه قد يكون مرّ أمامه قبل أن يصل إلى المسرح.

"أعلى من السماء" هي مسرحية طريفة، مُفيدة ومُسليّة في الوقت ذاته، تجمع بين الكوميديا والعلم والتاريخ.

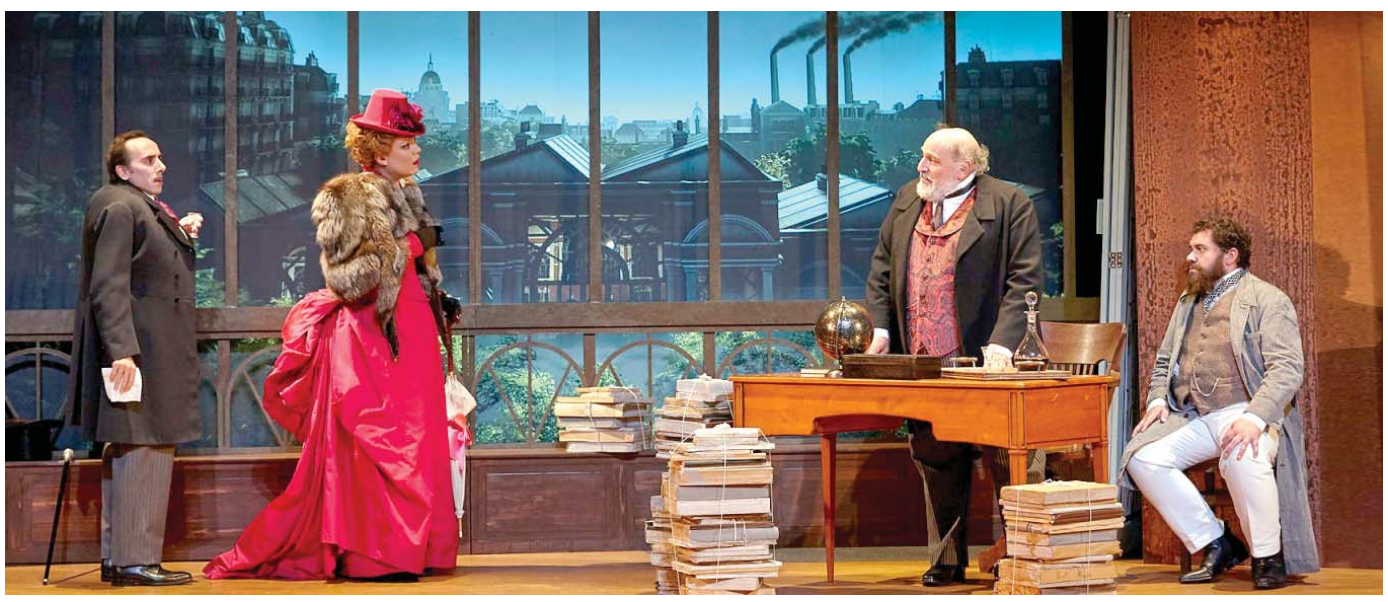

سرد مسرحي حول ملحمة تشييد «سيدة الحديد الأولى»

«أعلى من السماء»
مسرحية طريفة، مُفيدة ومُسليّة في الوقت ذاته، تجمع بين الكوميديا والعلم والتاريخ

تكمن قوتها في أنها لا تؤلّه أبطالها الواقعيين، بل تقدّمهم كما هم في لحظات ضعفهم، من غضب وشكّ وغيرة. وتكمن أيضا في ثراء أداء الممثلين والممثلات، فقد تقمّصوا أدوارهم بامتلاء، فكانوا جادّين حين يلزم الجدّ، مرحين في أوقات اللهو، دون التزام صارم بالشخصيات الأصلية، حتى أن العرض يُذكّر أحيانا بمسرح البولفار. ولئن كان تغيير الديكور في حاجة إلى تعديل، فإن الموسيقى التصويرية، المستوحاة من الأفلام الصامتة، كانت مناسبة لمرافقة وقائع تلك الفترة.

لقد استطاع جان لوران سيلفي أن ينقل أجواء تلك الملحمة، ملحمة تشييد برج كان الباريسيون يدعون إلى إزالته بعد انتهاء الاستعراض العالمي عام 1789، لأنه يسيء في نظرهم إلى التناسق المعماري الذي أحدثه محافظ باريس البارون هوسمان في عهد الإمبراطورية الثانية، ثم تحوّل مع مرّ الأيام إلى رمز، يعتزّ به الفرنسيون كافة، ويرتاده السياح كما يرتادون متحف اللوفر أو قصر فرساي.

وقد عبّرت المسرحية بصدق فني عمّا عاشه أبطال تلك الملحمة من مشاعر متناقضة، إذ حفلت بتقلبّات وتشويق وخيبات، ومخاوف وخصومات، وتضارب مصالح، قبل أن تشهد الانفراج، والفرح الذي يعقب النجاح.